الرسالة

(رو ٦: ١٨-٢٣)

يا إخوةُ بعد أن أُعتِقتُم من الخطيئةِ أصبحتُم عبيداً للبِّر* أقول كلاماً بشريًّا من أجل ضَعفِ أجسادِكم. فإنَّكم كما جعلتُم أعضاءَكم عبيداً للنجاسةِ والإثم للإثمِ كذلك الآن اجعَلوا أعضاءَكم عبيداً للبِّر للقداسة* لأنَّكم حين كنتم عبيداً للخطيئةِ كنتم أحراراً من البِّر* فأيُّ ثمرٍ حصلَ لكم من الأمورِ التي تستَحيُونَ منها الآن. فإنَّما عاقِبتُها الموت* وأمَّا الآنَ فإذ قد أُعتِقتُم من الخطيئةِ واستُعبِدتُم لله فإنَّ لكم ثمرَكم للقداسة. والعاقِبةُ هي الحياةُ الأبدية* لأنَّ أجرةَ الخطيئةِ موتٌ وموهِبةَ الله حياةٌ أبديَّةٌ في المسيحِ يسوع ربّنا.

سر الشكر في حياة الكنيسة

«من يأكل جسدي ويشرب دمي يثبت فيّ وأنا فيه» (يو ٦: ٥٦).

حين نجتمع في الكنيسة ونقيم القداس الإلهي ونتناول جسد المسيح ودمه، من يد الأسقف أو الكاهن، نتمّم سر الشكر الذي هو محور حياة الكنيسة وقلب حياتنا بالمسيح. الإفخارستيا هو السر الذي يجمع شمل المؤمنين ويفعّل وحدة جسد المسيح، وهو في الوقت ذاته يغذّي كلّ أعضاء الجسد، أي كل واحد منّا، إلى القيامة العامّة. هذا التّعليم نجده متكرّرًا لدى القدّيس إيريناوس أسقف ليون. تأسّس هذا السر على كلام الرب في العشاء السريّ، ويذكر بولس الرسول إقامة هذا السر باستمرار في اجتماع المؤمنين (١كو١١: ١٧-٣٤)، كما يذكر أنّ هذا السر هو تذكّر وإعلان لموت المسيح وقيامته إلى أن يجيء. ويفسّر إنجيل يوحنّا الحدث من حيث هو ذبيحة إحياء (يو ٦: ٥٣)، (مت ٢٦: ٢٦)، (لو ٢٢: ١٧)، (مر ١٤: ٢٢).

العدد ٢٠١٥/٢٦

الأحد ٢٨ حزيران

تذكار نقل عظام القديسَين الصانعَي العجائب والماقتَي الفضة كيروس ويوحنا

اللحن الثالث

إنجيل السَحَر الرابع

يُعَرِّفُ القدّيس إغناطيوس الأنطاكيّ الإفخارستيّا على أنّها دواء وختم يوحّد أعضاء الشركة الكنسيّة ويُحييهم. هذه القوّة المَوَحِّدة تجعل جماعة المؤمنين المجتمعين في القدّاس شعبَ الله وأبناءً لملكوت السّموات. التّعليم ذاته، أي أن سر الشكر يحيي المؤمنين في كأس واحدة وجسد واحد، نجده في الاصحاح التاسع من كتاب «الذيذاخي» (من القرن الثاني).

سر الشكر هو الأساس الروحيّ للبُعد الإجتماعيّ في الكنيسة وهو الذي يُغذّي التوجّه القيامي لحياة الجماعة؛ لذلك يبقى الجسم الكنسيّ حيًّا ومنفتحًا باستمرار. هذا السر هو الغذاء الذي يُحرِّكُ المؤمنين إلى الصلاح.

يقوم كلّ شيء في حياة الكنيسة على سر الشكر. من خلال سر الشكر ينتمي الإنسان عمليًّا إلى الكنيسة. يصير غصنًا في الكرمة التي هي المسيح نفسه، ويجعل كل يوم من حياته جزءًا من حياة جسد المسيح الحي. وهذا الانتماء إلى حظيرة المخلّص هو الخميرة التي تقدّس امتداد وجودنا في الجسد والتزامنا في شأن الدنيا والمجتمع. هكذا يبدأ أسبوعنا بإعلان

الكاهن يوم الأحد أن «مملكة الآب والابن والروح القدس مباركة»؛ فتصير الإفخارستيا أساس كلّ نشاط وتحرّك بنّاء في الكنيسة. والجسد الذي نتناوله من الباب الملوكي يصحبنا إلى منازلنا، إلى حياتنا الأُسَريّة، والعمل والدراسة، عسى نور الآب يضيء «هكذا قدّام الناس» (متى ٥: ١٦).

الشركة الشكرية في الكنيسة هي مجال لنمو الإنسان في الحياة في المسيح، وفي كل عمل وكلّ خدمة. لذا تحرص الكنيسة على أن يرتبط كل عمل اجتماعي فيها بسر الشكر. كل عمل خيري، كل خدمة للقريب، كل عطاء وتفانٍ نقدّمها للإله المثلّث الأقانيم بواسطة الإفخارستيا. بنية الكنيسة هي بنية إفخارستية وكل عمل في الكنيسة يقوم على هذا.

آليّةُ العمل في الكنيسة لها سلطتها وبنيتها الرّوحيّة التي توجّه وتنسّق حياة الجماعة. المسيح أعطى تلاميذه الرسل القديسين سلطة مغفرة الخطايا، وشفاء المرضى، وطرد الشياطين (يو ٢٠: ٢٢ – ٢٣ ...). هذه السّلطة المركزيّة في الكنيسة هي سرّ الكهنوت المُسْتَمَدّ من كهنوت المسيح. أساس كلّ سلطة روحيّة في جسد الكنيسة هو الذبيحة التي قدّمها الرب على الصليب وإقامته للطبيعة البشرية ولكلّ الخليقة. بالتالي الكهنوت هو القوّة الروحيّة التي تُبطِلُ بالأسرار قوى الفساد في الخليقة والتي تُجدِّدُ بالنعمة حياة الإنسان. هذا السّلطان الكهنوتي يُفَعِّلُ أسرار الكنيسة كلها، وحياة الكنيسة كلها، ليتحقق التجدد الإفخارستي في حياتنا. والتعبير الأجلى في حياتنا الكنسية عن نعمة الكهنوت هو شخص الأسقف الذي هو صورة المسيح في الاجتماع الإفخارستي وفي كل عمل ونشاط كنسي.

سر الشكر هو تحقيق ملكوت السموات في حياتنا والاستعلان الأكثر جلاءً لمحبة الله في إطار الواقع التاريخي، بكلّ سقطاته ونهضاته، بأحزانه وأفراحه، بآلامه وتعزياته. كلّ هذه تحملها الكنيسة وتضعها على صليب المسيح. في سر الشكر، موت المسيح وقيامته يعطيان الواقع التاريخي معناه ودلالته التي لا تنتهي، يزوّدان واقعنا الفقير بنعمة الروح القدس الذي يأتي ويسكن فينا ويخلّص، هو الصالح، نفوسنا.

الرّسول ملاكٌ

تعيّد كنيستنا المقدّسة في التاسع والعشرين من شهر حزيران لهامتي الرّسل بطرس وبولس، كما تقيم في الثلاثين من الشهر نفسه عيدًا جامعًا للرّسل الإثني عشر.

أن يكون الإنسان رسولاً يعني أن يكون ملاكًا، فكيف ذلك؟ إذا انطلقنا من اللّغة وغصنا في القواميس، ندرك أنّ كلمة «ملاك» (ملأك) تعني «الرسول» إذ تأتي من فعل «لأَكَ» أي «أخبرَ»، هذا نفسه نجده في الرّسالة إلى العبرانيّين: «أليس جميعهم أرواحًا خادمة مُرسَلَةً للخدمة لأجل العتيدين أن يرثوا الخلاص» (١: ١٤).

إذا قرأنا الكتاب المقدّس بعهديه القديم والجديد، نجد جليًّا أنّ أوّل ظهور لملاكٍ كان فورًا بعد السّقوط: «فطرد الإنسان وأقام شرقيّ جنّة عدن الكروبيم ولهيب سيف متقلّب لحراسة طريق شجرة الحياة» (تك ٣: ٢٤). الأمر الذي يعادل هذا الخبر هو أنّ أوّل حدثٍ حصل بعد القيامة كان ظهور ملاك (أو ملاكين): «وإذا زلزلة عظيمة حدثت لأنّ ملاك الربّ نزل من السماء وجاء ودحرج الحجر

الإنجيل

(متى ٨: ٥–١٣)

في ذلك الزمان دخل يسوع كَفْرَناحومَ فدنا إليه قائدُ مئةٍ وطلب إليه قائلاً يا ربُّ إنَّ فتايَ مُلقًى في البيت مُخلَّعاً يُعَذَّبُ بعذابٍ شديد* فقال له يسوع أنا آتي وأشفيه. فأجاب قائدُ المئةِ قائلًا يا ربُّ لستُ مستحِقًّا أن تدخُلَ تحت سقفي ولكن قُلْ كلمةً لا غير فيبرأ فتايَ* فإنّي أنا إنسانٌ تحت سلطانٍ ولي جندٌ تحت يدي أقولُ لهذا اذهبْ فيذهَبُ وللآخرِ ائتِ فيأتي ولعَبدي إعمَلْ فيعملُ* فلمَّا سمع يسوع تعجَّب وقال للذينَ يتبعونه الحقَّ أقول لكم إنّي لم أجِد إيماناً بمقدارِ هذا ولا في إسرائيل* أقول لكم إنَّ كثيرين سيأتون من المشارقِ والمغاربِ ويتَّكِئون مع إبرهيمَ وإسحقَ ويعقوبَ في ملكوتِ السموات* وأمَّا بنو الملكوتِ فيُلقَون في الظلمةِ البَرانيَّةِ. هناك يكونُ البكاءُ وصريفُ الأسنان* ثمَّ قال يسوع

لقائد المئة اذهَبْ وليكُنْ لك كما آمنتَ. فشُفيَ فتاهُ في تلك الساعة.

تأمل

المهم في الموضوع ليس هو مجيء قائد المئة بنفسه أم لا، المهم كيف يظهر عزمه وإيمانه ومعرفته اللائقة بالمسيح.

لا تنظر فقط إلى كلام قائد المئة لكي تقدّر إيمانه، بل انظر أيضاً إلى مركزه، وعندها تكتشف فضيلته. فالرجل الحاصل على مركز كبير يتعالى ولا يتواضع في تصرّفاته عادة. ان الضابط المذكور عند يوحنا يأتي بالرب إلى بيته ويقول له «أن ينزل ويشفي ابنه لأنه كان مشرفاً على الموت» (يو ٤: ٤٩). لكن قائد المئة هنا يتصرّف بطريقة أفضل. فهو لا يطلب حضور الرب شخصياً، ولم يأتِ بالمريض إلى يسوع كما في مَثَل المخلّع (مر ٢: ١–٢)، ذلك لأنه كان يعتبره اعتباراً عظيماً، اعتباراً إلهياً (هذه هي المعرفة اللائقة التي كانت عند قائد المئة. هذا كان إيمانه العظيم). ولذلك قال «قل كلمةً فقط». في البداية يتكلم عن المرض لأنه لم يكن ينتظر، بسبب تواضعه الكبير، أن يتجاوب الرب بسرعة لطلبه ويأتي إلى عن الباب وجلس عليه وكان منظره كالبرق ولباسه أبيض كالثلج» (مت ٢٨: ٢–٣؛ مر ١٦: ٥؛ لو ٢٤: ٤؛ يو ٢٠: ١١). فالملاك الذي حرس عدن حتّى لا يعود إليها آدم وحوّاء، هو نفسه دعا التلاميذ والتلميذات للدّخول إلى قبر السيّد والتأكّد من القيامة؛ هناك سقوط وهنا خلاص؛ هناك سيف ملتهب عند الباب أمّا هنا فملاك منير؛ هناك عدن، وهنا قبر أبهى من الفردوس على حسب ما نقول في صلواتنا: «أيّها المسيح إنّ قبرك الذي هو ينبوع قيامتنا قد ظهر بالحقيقة حاملاً الحياة وأبهى من الفردوس وأجمل من كلّ خدر ملوكيّ». فالملاك الذي وقف عند باب عدن أُرسِلَ من الله ليُعلِنَ بدء مسيرة الخلاص، أمّا الملاك الذي كان عند القبر فقد أُرسِلَ ليدعو القادمين للتأكُّد من أنّ الخلاص قد تمّ. إذًا، من كلّ ما تقدَّم، نلاحظ أنّ الربّ أرسل ملائكته منذ البدء لإيصال رسالة لا تتضمّن سوى بشرى الخلاص.

بعد العنصرة، انطلق تلاميذ الربّ بهذه الرّسالة نفسها فصاروا رسلاً حاملين إيّاها إلى كلّ المسكونة دون أن يخافوا، لأنّ روح الربّ شدّدهم: «وامتلأ الجميع من الروح القدس وابتدأوا يتكلّمون بألسنةٍ أُخرى كما أعطاهم الروح أن ينطقوا» (أع ٢: ٤). الرسول بولس مثلًا بشّر الأمم (الوثنيّين) بالخلاص، والرسول بطرس بشّر فلسطين وآسيا الصّغرى ورومية، والرّسول توما بشّر الهند... إذًا، أصبح كلّ رسول ملاكًا يحمل بشرى الخلاص للجميع، وليس مستغرَبًا أن يحمل الأسقف لقب «ملاك الأبرشيّة» كون عمله الأساسيّ هو وعظ رعيّته لإيصال بشرى الخلاص إليهم من خلال تعليمهم كلمةَ الربّ وتفسيرها لهم، حتّى يصبحوا هم أنفسهم رسلاً، ملائكةً، يحملون بشرى الخلاص إلى سواهم. كيف نصبح رسلاً وملائكةً في زمن استولى فيه الشرّ على كلّ شيء؟ في البداية علينا أن نقرأ كلمة الربّ ونحفظها حفظًا جيّدًا (ليس فقط عن ظهر قلب، إنّما بأفعالنا أيضًا)، وما لا نفهمه نبحث عن تفسير له في ما كتبه الآباء القدّيسون أو في تعاليم الكنيسة في الماضي والحاضر. هذا يجعلنا نفهم الرّسالة الخلاصيّة وننقلها إلى أولادنا في تربيتنا لهم وهم بدورهم ينقلونها إلى محيطهم، فتنطلق «عدوى» الرسوليّة في كلّ مكان.

لا ننسَ أنّه علينا الاستجابة إلى متطلّبات العصر واستخدام آلاته في البشارة. مثلًا، دعونا نتذكّر كيف استغلّ القدّيس نكتاريوس أسقف المدن الخمس عمله في معمل السجائر لينقل البشارة إلى المدخّنين عبر لصق آيات من الكتاب المقدّس على كلّ علبة من علب السجائر. إنّ عصرنا الحالي هو عصر التكنولوجيا من دون منازع، فلماذا، بدلًا من أن نكون عبيدًا بطّالين للآلات والمواقع الإلكترونيّة وسواها من الوسائل، لا نسخّرها في العمل الرّسولي–الملائكيّ؟ ثمّة أمور أُخرى يمكننا القيام بها إذا أعمَلْنا العقل والقلب منطلقين من مبدأ منفعة الآخر وخلاصه، وجاعلين المحور هو الله وليس الأنا.

في النّهاية، كوننا على صورة الله ومثاله، علينا أن نفكّر كما يفكّر الله، أي أن نشاء الكلّ أن يخلصوا ويُقبلوا إلى معرفة الحقّ (١تيم ٢: ٤)، وعندما نصل إلى تفكير مثل هذا نكون في طريق الرّسوليّة الحقيقيّة التي لا تستثني أحدًا من الرّسالة، وتاليًا نكون ملائكةً حارسيَن نفوس إخوتنا كي لا تُغادرها بُشرى الخلاص.

مديح الرسول بولس

كم أود أن أرى رفات فم قال المسيح بواسطته أسراراً عظيمة لا تُفسَّر، فالمسيح صنع وتكلّم بواسطة التلاميذ. رفات جسد سُلّمت بها تعاليم الروح القدس إلى العالم. فما الذي لم تصنعه شفتا بولس الصالحتان؟ إنهما طردتا الأرواح النجسة وحلّتا الخطيئة وسدّتا أفواه معذِّبي المؤمنين وربطتا ألسنة الفلاسفة وجاءتا إلى الله بالمسكونة، وتغلّبتا على حكمة البربر، وجدّدتا كل شيء على الأرض، وذلك، بالسلطة المعطاة لبولس. أود أن أرى قلبه لا شفتيه فقط، قلباً إن قلنا عنه انه قلب المسكونة فإننا لا نخطئ أبداً. انه ينبوع الخيرات ومبدأ حياتنا وعنصرها. فقد تدفق من هذا القلب، روح الحياة على الجميع، ومنه انتقلت إلى أعضاء المسيح. وقد صار الاتحاد معه بالنيات الصالحة لا بالشرايين.

ان هذا القلب اتسع جداً حتى وسع في داخله مدناً برمّتها وقبائل وشعوباً أيضاً «قلبنا متسع» (٢كو ٦: ١١) يقول بولس. وهذا القلب الواسع قد انقبض من تأثير المحبة كما قال هو نفسه: «لأني من حزنٍ كثير وكآبة قلب كتبت إليكم» (٢كو ٢: ٤) فكم أود أن أرى ذلك القلب الحساس الذي كان يذوب حزناً من أجل كل هالك، ويتمخض ثانية بآلام الولادة بالأبناء الذين ولدوا غير مكمّلين، قلباً رأى الله كما قيل: طوبى لأنقياء القلوب لأنهم يعاينون الله، قلباً أضحى ذبيحة، قلباً أسمى من السماء وأوسع من المسكونة وأكثر لمعاناً من أشعة الشمس وأشد حرارة من النار وأصلب من الماس، قلباً تتدفق منه الأنهار كما قيل: «تجري من بطنه أنهار ماء حي» (يو٧:٣٨)، كان يجري من هذا القلب ينبوع حي ويفيض على وجه البسيطة وعلى النفوس البشرية ومنه تتدفق ليلاً ونهاراً لا أنهار عادية بل أنهار من دموع.

عاش هذا القلب حياة جديدة لا كحياتنا هذه. «فأحيا لا أنا بل المسيح يحيا فيّ» (غل ٢: ٢٠) يقول بولس. وبهذه الصورة كان قلب بولس قلباً للمسيح ولوحاً للروح القدس وكتاباً للنعمة. كان يرتجف من أجل خطيئة الآخرين، فهو نفسه القائل: «أخاف عليكم أن أكون قد تعبت فيكم عبثاً» (غل ٤: ١١) وتخدعكم الحية كما خدعت حواء قديماً (٢ كو ١١: ٣). «لأني أخاف إذا جئت أن لا أجدكم كما أريد وأُوجد منكم كما لا تريدون» (٢ كو ١٢: ٢٠).

ان بولس كان إنساناً وكانت طبيعته مثلنا بشرية ولم يختلف عنا بشيء لكن محبته للمسيح كانت قوية جداً. لذلك صعد إلى أعلى السموات وأصبح من الملائكة. فإن أردنا أن نشعل ناراً كهذه في قلوبنا فليس هذا بعسير علينا إن قلدنا الرسول القديس. فلو لم يكن هذا مستطاعاً لما صرح به بولس: «فأسألكم أن تقتدوا بي كما اقتدي أنا بالمسيح» (١ كو ٤: ١٦) لذلك لا نعجب منه فقط وننذهل من أعماله بل يجب أن نقلّده ونقتدي به حتى نكون مستحقين أن نراه في العالم الآتي، ونشترك معه بالمجد الذي لا يوصف سائلين الله تعالى أن يوصلنا جميعاً لذلك بنعمة ومحبة سيدنا يسوع المسيح للبشر.

القديس يوحنا الذهبي الفم

بالامكان الإطلاع على النشرة أسبوعيًا على صفحة الإنترنت:

www .quartos.org.lb

بيته. لذلك عندما سمع جواب الرب المفاجئ «أنا آتي وأشفيه»، عندها قال «قل كلمة فقط» لم يمنعه مرض عبده من تصرّف لائق...

أنظر إلى حكمته، لأنه لم يقل فقط إنه غير مستحق أن يتقبل إحسان الرب بل إنه غير مستحق أن يأتي إلى بيته أيضاً. يعرض المرض ولا يطلب شيئاً آخر، معتبراً نفسه غير مستحق للإحسان. وعندما رأى عزم المسيح لم يتحمّس أكثر ويتقدّم في طلبه، بل على العكس تحفّظ بسبب تواضعه وفضيلته. لذا كرّمه المسيح إكراماً كبيراً فامتدح إيمانه علناً دون أن يذهب إلى بيته. وكذلك كرّمه بإدخاله إلى الملكوت وفضّله على الأمّة اليهودية...

وربّ قائل آخر: لماذا لم يحظَ الأبرص بمثل هذا الإكرام بالرغم من إيمانه الكبير الذي يفوق إيمان قائد المئة، إذ لم يقل «قل كلمة فقط»، بل قال «إن أردتَ تقدر» (متى ٨: ٢)، هنا أقول إن قائد المئة لم يكن يهودياً، وبالرغم من ذلك وصل إلى مفهوم سامٍ جداً عن المسيح، لذلك يستحق المديح.

القديس يوحنا الذهبي الفم